

ابن جُبارة المقدسيّ

(٦٤٨ - ٧٢٨هـ)

وكتابه (المفيد في شرح القصيد)

أ. خير الله الشّريف

أولاً - حياته وعلمه

١ - اسمه ونشأته:

هو شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الولي بن جُبارة^(١) المقدسيّ المزدائي^(٢) الصالحي الحنبليّ.

ولد سنة (٦٤٨هـ) في سفح جبل قاسيون بدمشق في المنطقة المسماة بالصالحية التي اختارها المقداسة مكاناً لسكناهم، وأحضر صغيراً في الرابعة من عمره على عادتهم في إسماع الصغار دروس العلم، فسمع «السيرة النبوية» لابن إسحاق على خطيب مَرْدَا، وسمع على الكَرْمَانِي، وابن عبد الدائم، وابن أبي عمر.

٢ - أسرته:

اشتهر بالعلم من أسرته:

- والده: تقي الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الولي بن جُبارة المقدسيّ، الفقيه الفاضل المتقن الصالح، سمع بدمشق وبغداد، وتوفي سنة (٦٨٣هـ)، ودفن

(١) نص ابن قاضي شُهبة عند ترجمته لابن جُبارة في «طبقات النحاة واللغويين» - الورقة/ ٢٠٠ -

٢٠١ من مخطوط الظاهرية - على ضبط كلمة (جُبارة) بالضم، فقال: (بضم الجيم).

(٢) نسبة إلى «مَرْدَا»، قرية قرب نَابُلُس («معجم البلدان» ١٠٤/٥).

بسفح قاسيون^(١).

- عمه: تقي الدين أبو محمد، عبد الله بن عبد الولي بن جُبارة المقدسي، الإمام الفقيه المسند الثبت، المتوفى سنة (٦٧٩هـ) والمدفون بسفح قاسيون^(٢).

- من بني عمّه: شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الولي بن جُبارة، المقدسي المعروف بالجزيري^(٣)، المسند المعمّر (٦٦٣ - ٧٥٨هـ).

- جده: عبد الولي^(٤) بن جُبارة: سمع منه ابن المحب، وأحمد بن يوسف الصالحي الطيار، وعبد الله بن عبد الرحمن القانوني، ومحمد بن أبي الزهر الهكاري، وعبد الرحمن ابن إبراهيم المقدسي.

- أخو جده: عبيد الله^(٥) بن جُبارة المرادوي الصالحي، الفقيه الحنبلي المتوفى ببجل قاسيون سنة (٦٤٣هـ).

٣- صفاته:

نشأ ابن جُبارة في صلاح ودين وزهد، وكان رجلاً مباركاً، فيه صدق وقناعة وتعفف وحشونة عيش، وانقطاع وفراغ عن الرئاسة واللباس، تعلوه السكينة والوقار، وكان جمّ الفضائل، يُعَدُّ في العلماء الصالحين الأخيار. وكان إلى ذلك إماماً مفتياً وفقهياً متقناً، وأصولياً مناظراً، وعلامة مقررًا

(١) ترجمته في: «شذرات الذهب» ٦٧١/٧، «القلائد الجهرية» ٤١٦/٢.

(٢) ترجمته في: «المقصد الأرشد» ٤١/٢، «القلائد الجهرية» ٤٢٤/٢.

(٣) ترجمته ومصادره في: «القلائد الجهرية» ٤١٨/٢، «شذرات الذهب» ٣١٨/٨.

(٤) «الوفيات» لابن رافع ١٥٣/١، ١٧٩، ٢٠٨، ٥٠٤ - «أعيان العصر» للصفدي ٢٣/١.

(٥) «تاريخ الإسلام» للذهبي: حوادث ووفيات ٦٤١ - ٦٥٠ هـ.

متفناً، ونحوياً ماهراً، ولغوياً بارعاً، عني بفن القراءات فبرز فيه وأتقنه واشتهر بذلك، فهاجر الناس إليه، ووقع الاختيار من الطلبة عليه، واشتهر بمعرفة الرأي، وتصدر وقصد لإقراء القراءات والعربية، وانتهت إليه مشيخة بيت المقدس، وكان مع هذه المهارة ذا تمتمة في لسانه.

٤ - رحلته^(١):

رحل سنة ٦٧٣هـ - وقيل: بعد سنة ٦٨٠هـ - لطلب العلم إلى القاهرة، فصحب الشيخ حسن الراشدي، وأخذ عنه القراءات السبع والنحو إلى أن مات سنة ٦٨٥هـ، وأخذ العربية عن ابن النحاس، والأصول عن القرائي، والفقه عن ابن حمدان . ثم حج وجاور بمكة، وعاد إلى صالحية دمشق سنة ٦٩٣هـ، فأقرأ القراءات، وأخذ عنه الذهبي^(٢)، واشتغل عليه الناس، ثم تحوّل إلى حلب، فاشتغل عليه ابن الوردي^(٣)، وأقرأ بها مدة، ثم عاد إلى دمشق، فقرأ عليه البرزالي^(٤)، ثم استوطن بيت المقدس، فتصدر للإقراء والعربية، وهاجر الناس إليه.

(١) ذكر تاريخها الأول ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٨/٤ نقلاً عن البرزالي في «تاريخه»، وذكر الثاني الذهبي في «طبقات القراء» ١٢٧٢/٣، و «معرفة القراء الكبار» ٧٤٦/٢، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٨٠/١، وابن العماد في «شذرات الذهب» ١٥١/٨.

(٢) قال الذهبي في «طبقات القراء» ١٢٧٣/٣: (قدم دمشق سنة ثلاث وتسعين، فجلست إليه، وسمعت بحوثه، وأخذت عنه مجلس البطاقة).

(٣) قال ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» ٢٧٥/٢: (أقام رحمه الله بمصر دهرًا، وجاور بمكة، ثم قدم دمشق واشتغل الناس عليه بما مدة، ثم أقام بحلب واشتغلنا عليه، ثم بالقدس).

(٤) نقل الداوودي في «طبقات المفسرين» ٨١/١ قول البرزالي في «تاريخه»: (قرأت عليه بدمشق بالقدس عدة أجزاء)، وقد تكون قراءة البرزالي عليه بعد عودته الأولى إلى دمشق سنة ٦٩٣هـ.

٥- من شيوخه:

- أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل المقدسي النابلسي الحنبلي، الشيخ الإمام الفقيه المسند خطيب مرّدا^(١)، (٥٦٦-٦٥٦هـ): حضر عليه في دمشق في الرابعة من عمره «السيرة النبوية» لابن إسحاق، وسمع منه «جزء البطاقة»^(٢).
- زين الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الصالح، الكاتب الخطيب المحدث المعمر^(٣)، (٥٧٥-٦٦٨هـ): أخذ عنه الحديث في دمشق.
- شمس الدين أبو الفرج وأبو محمد، عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالح الحنبلي، شيخ الإسلام وبقية الأعلام^(٤)، (٥٩٧-٦٨٢هـ): أخذ عنه الحديث في دمشق.
- بدر الدين عمر بن محمد بن أبي سعد الكرماني، التاجر الواعظ المعمر^(٥)، (٥٧٠-٦٦٨هـ): أخذ عنه الحديث في دمشق.
- بهاء الدين محمد بن إبراهيم ابن النحاس الحلبي، شيخ العربية والآداب

(١) «سير أعلام النبلاء» ٣٢٥/٢٣، «شذرات الذهب» ٤٨٩/٧.

(٢) جزء البطاقة: مجموعة مشهورة في الحديث الشريف، منها نسخة خطية في مكتبة الأسد بدمشق ضمن المجموع (٥٢)، والأوراق (٦٤-٧٨).

(٣) «المنهج الأحمد» ٢٩٧/٤، «شذرات الذهب» ٥٦٧/٧.

(٤) «الوافي بالوفيات» ٢٤٠/١٨، «شذرات الذهب» ٦٥٧/٧.

(٥) «الإعلام بوفيات الأعلام» ص ٢٧٩، «شذرات الذهب» ٥٧٠/٧.

بمصر^(١)، (-٦٩٨هـ): أخذ عنه العربية في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

- نبيه الدين أبو علي، حسن بن عبد الله بن وَجِيحَان، الرَّاشِدِي التَّلْمِسَانِي، الأستاذ المقرئ، من بني راشد قبيلة من البربر، كان بصيراً بالقراءات وعللها، عارفاً بالعربية، صاحب عبادة وزهد وإخلاص واشتغال بنفسه^(٢)، (-٦٨٥هـ): أخذ عنه القراءات والنحو والتصوف في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

- شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن إدريس القَرَّافِي الصُّنْهَاجِي المصري المالكي، الإمام العلامة^(٣)، (-٦٨٤هـ): أخذ عنه أصول الفقه في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

- نجم الدين أبو عبد الله، أحمد بن حمدان بن وثَّاب، التُّمَيْرِي الحَزْرَانِي الحنبلي، القاضي الأصولي^(٤)، (٦٠٣-٦٩٥هـ): تفقه عليه في المذهب الحنبلي في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

٦- من تلامذته:

- علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد اليززالي الشافعي، الحافظ، مؤرخ العصر، محدث الشام، صاحب «التاريخ» و «المعجم الكبير»^(٥)، (٦٦٣-٧٣٩هـ): أخذ عنه أجزاءً حديثية في دمشق ثم في القدس سنة (٦٩٣هـ) وبعدها.

- شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة

(١) «معرفة القراء الكبار» ٧٢٩/٢، «بُعية الوعاة» ١٣/١.

(٢) «معرفة القراء الكبار» ٧٠١/٢، «شذرات الذهب» ٦٨١/٧.

(٣) «الديباج المذَّهَّب» ٢٣٦/١.

(٤) «معجم شيوخ الذهبي» ص ٢٩، «شذرات الذهب» ٧٤٨/٧.

(٥) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شُهْبَة ٣٦٩/٢، «فوات الوفيات» ١٣٠/٢.

النائبُسي، الإمام الفقيه العابر^(١)، (٦٢٨-٦٩٧هـ): تلا عليه في دمشق بعض الختمة لابن عامر سنة ٦٩٣هـ وبعدها.

- شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التُّركُماني، الإمام الحافظ محدث العصر^(٢)، (٦٧٣-٧٤٨هـ): أخذ عنه سنة (٦٩٣هـ) وبعدها في دمشق «مجلس البطاقة»، وجلس إليه، وسمع بحوثه، وروى عنه.

- زين الدين، عمر بن مظفر ابن الوردى، المعري الحلبي الشافعي، إمام اللغة والفقه والنحو والأدب، ذو التصانيف^(٣)، (٧٤٩-هـ): أخذ عنه في حلب ثم في القدس سنة (٦٩٣هـ) وبعدها.

- شمس الدين أبو المعالي، محمد بن أحمد بن علي ابن اللبّان، المقرئ^(٤)، (٧١٠-٧٧٦هـ): أفرد عليه قراءة نافع، ثم أبي عمرو، ثم عاصم، ثم حمزة إلى أثناء سورة «الزُّمَر»، وسمع منه «التيسير» للداني.

- أبو العباس، أحمد بن محمد بن يحيى بن نُحْلة^(٥) النائبُسي، سبط السُّلُغوس^(٦)، (٦٨٧-٧٣٢هـ): قرأ عليه بعض القراءات في دمشق.

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣٣٦/٢، «شذرات الذهب» ٧٦٤/٧.

(٢) «معجم شيوخ الذهبي» ص ٧٥، «الوافي بالوفيات» ١٦٣/٢، «طبقات الشافعية الكبرى» ١٠٠/٩.

(٣) «فوات الوفيات» ١٥٧/٣، «طبقات الشافعية الكبرى» ٣٧٣/١٠.

(٤) «غاية النهاية» ٧٢/٢، «شذرات الذهب» ٤٢٠/٨.

(٥) «غاية النهاية» ١٣٣/١.

(٦) هو شمس الدين، محمد بن عثمان التنوخي الدمشقي، الوزير الكامل التاجر الكاتب، توفي

سنة ٦٩٣هـ، ترجمته ومصادره في : «شذرات الذهب» ٧٤١/٧.

- أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن علوان الشامي الجريري، نزيل القاهرة^(١)، (٧٠٩ - ٨٠٠هـ): أجازته ابن جبارة.
- عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي العباس أحمد بن علي النَّفْزِي الكركي الشافعي^(٢)، (قبل ٧٠٠ - ٧٧٢هـ): تلا عليه بالروايات في دمشق سنة ٦٩٣هـ.
- شرف الدين أبو العباس، أحمد بن عثمان القرمي الصوفي، (بعد ٦٦٠ - ٧٣١هـ): تلا عليه بالروايات في دمشق سنة (٦٩٥هـ).
- فخر الدين عثمان بن إسحاق الدمشقي: سيذكر في وصف النسخة (ب).
- عبد الله بن سليمان المراكشي^(٣): تلا عليه بالروايات في دمشق سنة (٦٩٣هـ).

٧- مؤلفاته:

أ- في علوم القرآن:

1- «المفيد في شرح القصيد».

2- «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»:

نعت الذهبي هذا الكتاب بالجودة^(٤)، وهو الشرح الثاني للشاطبية الذي ألفه ابن جبارة بعد كتابه «المفيد»، يؤخذ هذا من قول ابن جبارة في مقدمة «الفتوحات» - الورقة ١/ب:

(١) «غاية النهاية» ٧/١ - ٨، «النشر» ٦٣/١.

(٢) «غاية النهاية» ٣٦٦/١.

(٣) «طبقات القراء» ٣/١٢٧٣، «ذيل التقييد» ٣٨٩/١، «غاية النهاية» ١٢٢/١.

(٤) «طبقات القراء» ٣/١٢٧٢.

(وسميته «المفيد في شرح القصيد»، ثم أضفت إليه «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»).

ويتضح من خلال المقارنة بين مخطوطي الكتابين أن الكتاب الثاني «الفتوحات» يوافق الأول - أي كتاب «المفيد» - في عبارته كثيراً مع الحذف، والإضافات الكبيرة، والصياغة الجديدة.

ذكر الكتاب في أغلب المصادر دون تصريح بعنوانه السالف، وانفرد القسطلاني فذكره بعنوانه الصريح مع السند الذي أدى إليه الكتاب^(١).

وصفت مصادر ترجمة المؤلف هذا الشرح بالكبير المطول المشهور، فحدد ابن الوردي حجمه في أربعة مجلدات^(٢)، ولا تدع نسخة الكتاب الخطية الوحيدة التي بين يدي مجالاً للشك في هذا الحجم^(٣).

أما شهرة الكتاب المشار إليها فتعود إلى أمرين:

١- شَبَّه عنوان الكتاب بعنوان كتاب ابن عربي «الفتوحات المكية»، وهو

(١) قال القسطلاني عند ترجمته ابن جُبارة في «الفتح المواهي» ص ٩٢: (شرحها شرحاً كبيراً سماه «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»... قلت: وقد أنبأني بهما أبو العباس من طريق الجمالي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن علوان، قال: أخبرنا بهما مؤلفهما، فذكره).
(٢) «تنمة المختصر في أخبار البشر» ٢/٢٧٥.

(٣) تضم خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق مخطوط المجلد الأول من الكتاب، وهو فيها برقم (٤١٦) ضمن مجموعة العلامة المحلِّث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله - (١٣٥٤هـ)، وهي نسخة مقابلة على أصل كتب في حياة المؤلف، يظهر ذلك من المقدمة ومن العبارات المرقومة في طرر الكتاب، فرغ من زيرها في دمشق سعيد بن إبراهيم اليمني بعد صلاة الجمعة في (١٦) رمضان سنة ٨٥٤هـ، تقع النسخة في (٢٣١) ورقة، وتنتهي بنهاية شرح البيت رقم (٢٩٠) من الشاطبية، فهي تمثل ربع الكتاب تماماً.

الكتاب المشهور الذي أثار ضجة كبرى، ولا غرو في اختيار ابن جبارة هذا العنوان لكتابه، وهو الرجل المتصوف الزاهد الذي أخذ التصوف وعلم القراءات عن شيخه حسن الراشدي.

٢- ما تضمنه الكتاب من شرح يمكن تسميته (الشرح الإشاري)^(١)، وهو ما توحى به الألفاظ من معانٍ خفية، وما ترمز إليه من دلالات غير ظاهرة، واحتمالات بعيدة.

وهذا النوع من الشرح هو الذي أدى بأصحاب مصادر ترجمة المؤلف إلى نقد الكتاب ومؤلفه، فبدأ الذهبي - وهو المؤرِّخ المُنصِّف - فوصف الشرح الكبير لشيخه ابن جبارة بقوله: (حشاه بالاحتمالات البعيدة، وأودع فيه الدُّرَّةَ وأدُنَّ الجِرَّةَ)^(٢)، ثم وصف شيخه بعد قليل بقوله:

(ذهنه جيد من حيث الفهم، لا من حيث التحقيق ... فمن أغرب شيء حدثني به ابن النابلسي وأعجبه عن ابن جبارة أنه قال في قول الشاطبي [البيت رقم (٢٥٤) من «الشاطبية»]:

وفي الهمز أنحاءٌ وعند نحاته يضيءُ سناه كلما اسودَّ أليلاً.
يحتمل قول الناظم في هذا البيت ست مئة ألف احتمال، وثمانون ألف

(١) قياساً على التفسير الإشاري أو الفيضي، وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك. «التفسير والمفسرون» / د. محمد حسين الذهبي ٣٣٨/٢.

(٢) «طبقات القراء» ١٢٧٢/١، وجاء الشطر الأول من العبارة أو مقارنُهُ في: «معرفه القراء الكبار» ٧٤٦/٢، و «غاية النهاية» ١٢٢/١، و «المقفى الكبير» ٦٠٨/١، و «الدرر الكامنة» ٢٧٦/١.

احتمال.

فانظر إلى هذا الهوس المفرط!

فلو كتبت هذه الاحتمالات التي لا وجود لعشر معشارها ل جاءت في ثلاث مئة ألف سطر وزيادة، وذلك يجيء في ألف كراسة، فتجلد في أربعين مجلدًا! ثم نقلت من خط ابن جُبارة بيت الشاطبي في ورقة، وما نصه: هذا البيت يحتمل خمس مئة وجه وأزيد من ذلك، إلى غير نهاية من الوجوه، وقد نظرت فيه، وتأملته، فوجدته كذلك كما أخبرتك به، وما أظن أحدًا يهتدي إلى ذلك إلا من هداه الله تعالى ونور بصيرته. انتهى.

قلت: نعم، هداانا الله وبصرتنا، فإن الهمز موجود في كلام الله، وكلام الله تعالى لا يتناهى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف ١٠٩]، فدع يا أيها الشخص عنك الدعاوى، والزيم الورع^(١). أما الصفدي فوصفه بالبراعة في النحو والقراءات مع اتهامه بالتحبيط^(٢)، وقال فيه: (عنده من الفضائل جمل وتفاريق، إلا أنه كان يتحازف، ويتنقل بعد سعادة علمه لأجل ذاك ويتحازف)^(٣).

هذا وقد خلا شرح البيت (٢٥٤) من «الشاطبية» في النسخة المخطوطة للكتاب تمامًا من النصين اللذين نقلهما الذهبي آنفًا، ويمكن عزو ذلك إلى كونهما مأخوذين من كتب أخرى للمؤلف، أنبئها كتاب «الهمز» الذي أشار ابن الجزري

(١) «طبقات القراء» ١/١٢٧٣ - ١٢٧٤.

(٢) «الوافي بالوقيات» ٨/٢٦، ونقل العبارة الأخيرة عنه السيوطي في «بغية الوعاة» ١/٣٦٣.

(٣) «أعيان العصر» ١/٣٤٣، (نشرة أبي زيد ورفاقه)، وفيه: كان يتحازف. وهو تصحيف،

والصواب من نشرة سركين ١/١٤٠.

إلى أن ابن جبارة قد أفردته بالتأليف^(١)، كما أفرد «بيت خالصة» بالتأليف^(٢)، أو أن هذه النسخة التي بين أيدينا من كتاب «الفتوحات» هي نسخة معدلة عن الكتاب أملاها المؤلف بأخرة بعد أن تغيرت حاله، وآل إلى الاعتدال في أقواله ومؤلفاته، كما قال الصفدي: (ولم يزل على حاله إلى أن كُسر ابن جبارة، وبطلت منه تلك الرموز والإشارة)^(٣).

3 - «شرح عقيلة أتراب القوائد في أسنى المقاصد»:

و «العقيلة» هي رائية الشاطبي المشهورة في رسم القرآن، وصف ابن الجزري^(٤) هذا الشرح لابن جبارة بأنه أحسن من شرحه المتقدم ذكره للامية، وأن كليهما حسن مفيد، وقد ذكر هذا الشرح الذهبي في «معجم شيوخه» ص ٧٥، و «طبقات القراء» ١٢٧٢/٢، و «معرفة القراء الكبار» ٧٤٦/٢، والصفدي في «الوافي بالوفيات» ٢٦/٨، و «أعيان العصر» ٣٤٣/١، وابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٩/٤، والفاسي في «ذيل التقييد» ٣٨٩/١، والمقرئ في «المقفي الكبير» ٦٠٨/١، وابن مفلح في «المقصد الأرشد» ١٧٧/١، و السيوطي في «بغية الوعاة» ٣٦٤/١، والعلمي في «المنهج الأحمد» ٢٤/٥، و «الأنس الجليل» ٣٨١/٢، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٨١/١، وابن القاضي في «درة الحجال» ١٥١/١، و ابن العماد في «شذرات الذهب» ١٥٢/٨،

(١) «النشر في القراءات العشر» ٤٢١/١.

(٢) وهو البيت رقم (٦٨٤) من الشاطبية، ذكر ذلك ابن جبارة في مقدمة «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية» الورقة ٤٥/أ، كما سيأتي، وهو قول الشاطبي:

وخالصة أصلٌ ولا يعلمون قل لشعبة في الثاني ويُفتح شمللا

(٣) «أعيان العصر» ٣٤٣/١.

(٤) «غاية النهاية» ١٢٢/١.

والبغدادي في «هدية العارفين» ١/١٠٧، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ٦٦، والزركلي في «الأعلام» ١/٢١٤، وكحالة في «معجم المؤلفين» ١/٢٧٧. وللكتاب نسختان خطيتان، أولاهما اطلعت عليها في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٣٠٦)، والثانية ذُكرت في فهرس مخطوطات الأسكوريال^(١) بمدريد برقم (١٤٠٧).

4- «شرح نونية السخاوي في التجويد»:

ذكره الصفدي في «الوافي بالوفيات» ٨/٢٦، و «أعيان العصر» ١/٣٤٣، وابن حجر في «الدرر الكامنة» ١/٢٧٦، وكحالة في «معجم المؤلفين» ١/٢٧٧.

5- «الهمز»:

ذكره ابن الجزري في «النشر في القراءات العشر» ١/٤٢١ - باب الوقف على الهمز، عندما عد ابن جُبارة ممن أفرد الهمز بالتأليف.

6- «أشياء في القراءات»:

ذكرها ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٤/٣١٩، و العُلَيْمي في «المنهج الأحمد» ٥/٢٤، و «الأُنس الجليل» ٢/٣٨١، والداوودي في «طبقات المفسرين» ١/٨١، وابن العماد في «شذرات الذهب» ٨/١٥٢، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ٦٦، كلهم دون بيان.

7- «تعاليق»:

ذكرها الصفدي في «الوافي بالوفيات» ٨/٢٦ بهذا اللفظ دون بيان.

8- «بيت خالصة»:

(١) «المخطوطات العربية بالأسكوريال - إسبانيا» ٣/٦٥.

ذكر المصنف في كتابه «الفتوحات المكية» الورقة ٤٥/أ أنه أفرد بيت الشاطبية رقم (٦٨٤) بتأليف مستقل، وهو قوله:
 وخالصةً أصلٌ ولا يعلمون قل لشعبةً في الثاني ويُفتح شَمَلًا
 ب- في تفسير القرآن:
 9- «فتح القدير في التفسير»:

ذكره ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٩/٤، وابن مفلح في «المقصد الأرشد» ١٧٧/١، والعُلَيمي في «المنهج الأحمد» ٢٤/٥، و «الأنس الجليل» ٣٨١/٢، وابن العماد في «شذرات الذهب» ١٥٢/٨، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٨١/١، و حاجي خليفة في «كشف الظنون» ١٢٣٣/٢، والبغدادى في «هدية العارفين» ١٠٧/١، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ٦٦، والزركلي في «الأعلام» ٢١٤/١، وكحالة في «معجم المؤلفين» ٢٧٧/١، ونويهض في «معجم المفسرين» ٦٨/١.
 10- «مختصر الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري»:

ذكره الزركلي في «الأعلام»، واطلعت عليه مخطوطاً في مكتبة الأسد برقم (٥٠٢)، وهو الجزء الأول من الكتاب، ينتهي في أثناء سورة الأنعام.
 ج- في النحو:

11- «شرح ألفية ابن معيط»:

ذكره ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٩/٤، والعُلَيمي في «المنهج الأحمد» ٢٤/٥، و «الأنس الجليل» ٣٨١/٢، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٨١/١، وابن العماد في «شذرات الذهب» ١٥٢/٨، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ٦٦، والزركلي في «الأعلام» ٢١٤/١، وكحالة

في «معجم المؤلفين» ٢٧٧/١.

ومن شعر ابن جُبارة قطعان انتهتا إلينا في بعض المصادر، هما قوله^(١):

تركُ السلامَ عليهمُ تسليمُ فاذهبِ وأنت من الملام سليمُ
لا تحدَعْنك زحارفٌ من وُدِّهم فلفن سألتهُم بدا المكتوم
ما للفقير مع الغنيِّ مودَّةٌ أنيَّ تصاحب واجدٌ وعديمُ!
وقوله^(٢):

خلتِ الزوايا من خباياها كما خلتِ القلوبُ من المعارفِ والتقى
وتنكرُ الوادي فما غزلائه تلكَ الظباءُ ولا النقا ذاكَ النقا

٨ - وفاته:

توفي ابن جُبارة في القدس الشريف فجأة^(٣)، سحر يوم الأحد رابع رجب سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) وله ثمانون سنة، ودفن من يومه بمقبرة (ما مالا) ظاهر القدس من جهة الغرب، وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب في السادس عشر من رجب.

٩ - مصادر ترجمته مسلسلة تاريخياً:

- (١) «الوافي بالوفيات» ٢٦/٨، «بُغية الوعاة» ٣٦٤/١، «درة الحجال» ١٥٢/١.
(٢) «الوافي بالوفيات» ٢٦/٨.
(٣) «طبقات القراء» ١٢٧٤/٣، وقد تحرفت كلمة (الذهبي) في «شذرات الذهب» - ١٥٢/٨ من نشرة الأرنؤوط - إلى (الديبشي) عندما نقل ابن العماد عن الذهبي وفاة ابن جُبارة فجأة، وقد سبق الدُّبَيْشِيُّ ابنَ جُبارة في الوفاة بنحو قرن من الزمن.

- 1- «المقتني لتاريخ أبي شامة» للبرزالي، أو: «تاريخ البرزالي»^(١).
- 2- «طبقات القراء» للذهبي ١٢٧٢/٣ - ١٢٧٤.
- 3- «معجم شيوخ الذهبي» ص ٧٥.
- 4- «معرفة القراء الكبار» للذهبي ٧٤٦/٢.
- 5- «تتمة: المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء» لابن الوردي، ٢٧٥/٢.
- 6- «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي ٣٤٢/١ - ٣٤٤.
- 7- «الوافي بالوقيات» للصفدي ٢٥/٨ - ٢٦.
- 8- «البداية والنهاية» لابن كثير ١٤٢/١٤.
- 9- «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» لابن حبيب ١٨٢/٢ - ١٨٣.
- 10- «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب ٣١٩/٤ - ٣٢٠.
- 11- «ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد» للفاسي ٣٨٩/١.
- 12- «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري ١٢٢/١.
- 13- «المقفي الكبير» للمقرئزي ٦٠٨/١.
- 14- «طبقات النحاة واللغويين» لابن قاضي شُهبة: الورقة ٢٠٠ - ٢٠١.

(١) لعل ترجمة ابن جبارة في الجزء المخطوط من الكتاب الذي تضمه مكتبة كوبرلي برقم (١٠٣٧)، ويشمل تراجم الوقيات: من سنة ٧٢٦هـ إلى سنة ٧٣٨هـ، وقد ذكره المنجد في «معجم المؤرخين الدمشقيين» ص ١٤٣، أما الجزء المطبوع منه فهو رسالة ماجستير في التاريخ من جامعة دمشق، حققه محمد مصباح مظلوم سنة ١٩٨٠، وهو يشمل تراجم الوقيات: من سنة ٦٩٩هـ حتى سنة ٧٠٣هـ. والجزءان السابق واللاحق لهذه الفترة لما يحقق بعد.

من مخطوط الظاهرية.

- 15- «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر ٢٧٦/١.
- 16- «المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد» لابن مفلح ١٧٧/١.
- 17- «بُغية الوعاة» للسيوطي ٣٦٣/١ - ٣٦٤.
- 18- «الفتح الموهبي في ترجمة الإمام الشاطبي» للقسطلاني ص ٩٢.
- 19- «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» للعلّيمي ٣٨١/٢.
- 20- «المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الإمام أحمد» للعلّيمي ٢٣/٥ - ٢٤.
- 21- «طبقات المفسرين» للداوودي ٨٠/١ - ٨١.
- 22- «دُرّة الحِجَال في أسماء الرجال» لابن القاضي ١٥١/١ - ١٥٢.
- 23- «شَدَرَات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد ١٥١/٨ - ١٥٢.
- 24- «كشَف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة ٤٥٩/١،
٦٤٨، ١١٥٩ - ١٢٣٣/٢.
- 25- «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» للخوانساري ٣٢٣/١.
- 26- «هدية العارفين» للبغدادي ١٠٧/١.
- 27- «مختصر طبقات الحنابلة» لابن شطّي ص ٦٦-٦٧.
- 28- «الأعلام» للزركلي ٢٢٢/١.
- 29- «معجم المؤلفين» لكحالة ٢٧٧/١.
- 30- «معجم المفسرين» لعادل نُويهض ٦٨/١.

ثانيًا - كتاب «المفيد في شرح القصيد»

المفيد شرح للشاطبية، فلا بد من تعريف الشاطبية والوقوف عند شروحها، ثم عند منزلة المفيد بين تلك الشروح ثم عند منهج مؤلف المفيد ومصادره وتاريخ تأليفه.

١- الشاطبية وشروحها:

بدأ التأليف في القراءات من القرن الهجري الأول، وتوسع شيئًا فشيئًا حتى أرسى قواعده الإمام الشاطبي^(١) في منظومته اللامية المسماة: «حز الأمانى ووجه التهاني» أو «الشاطبية» التي بلغت (١١٧٣) بيت، وحازت من القبول والشهرة والعناية حظًا وافيرًا لا يعلم له نظير في بابها؛ إذ افتتحت الشاطبي في ضبط القراءات السبع، فسلك سبيل الرمز، فمنح كل قارئ وراوٍ رمزًا إذا انفرد، ورمزًا إذا اجتمع مع غيره، وأخذ هذه الرموز من تسلسل ترتيب الحروف العربية الأبجدية عند المغاربة^(٢)، ومع أن الشاطبية قد وردت فيها الضرورات الشعرية^(٣) فإن ذلك لا يقدر في هذه المنظومة

(١) هو أبو محمد، القاسم بن فيضة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعي الأندلسي الضرير، العالم العامل، القدوة الإمام المتوفد ذكاء، ذو الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والفقهاء والحديث، مع الورع والتقوى والتأله والوقار، ولد سنة ٥٣٨ هـ، وتوفي سنة ٥٩٠ هـ، ترجمته ومصادره في: «سير أعلام النبلاء» ٢١/٢٦١، و«الفتح الموهبي في ترجمة الإمام الشاطبي» ، و«الإمام الشاطبي سيد القراء».

(٢) وذلك وفق ترتيبها في المقاطع التالية: أبج، دهرز، حطي، كلم، نصع، فضق، رست، نخذ، ظغش. وانظر: «المعجم العربي» / د. عدنان الخطيب ص ١٩.

(٣) كتسهيل الهمز في الأبيات: (٧، ١٥، ١٨)، وتخفيف ياء النسبة المشددة في الأبيات: (٢٨، ٢٩، ٣١)، وغير ذلك.

الموسوعية، فلا عجب أن تتبوأ الشاطبية تلك المكانة الرفيعة عند العلماء باختلاف تخصصاتهم، فهي ليست وعاء للقراءات فحسب، بل هي على قدر جيد من الرقة والعدوبة والبيان، وقوة السبك، ووفرة المعاني.

وقد نخص عدد من العلماء لشرح هذه المنظومة^(١) التي ضمت سبعاً من القراءات القرآنية المتواترة المشهورة، واعتمدت كتاب «التيسير» للداني أساساً لها. فكان شرح السخاوي، تلميذ الشاطبي، رائداً لهذه الشروح، وميّز كل واحد ممن تلاه من الشراح شرحه بما فتحه الله عليه من علم وخبرة، ثم أتى شرح ابن جبارة «المفيد» الذي نعرض له. وفيما يأتي عرض لهذه الشروح ما كان منها سابقاً للمفيد أو معاصراً له، وما كان تالياً له.

أ- شروح سبقت «المفيد» أو عاصرته:

- ١- شرح لعبد الرحمن بن أبي القاسم الأزدي التونسي المعروف بابن الحدّاد (- نحو ٥٦٢٥هـ).
- ٢- «المهند القاضبي شرح قصيدة الشاطبي» لأبي العباس أحمد بن علي بن محمد ابن علي بن شُكر القرطبي الأندلسي (- نحو ٦٤٠هـ).
- ٣- «فتح الوصيد في شرح القصيد» لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي الشافعي (- ٦٤٣هـ).
- ٤- «الدرة الفريدة في شرح القصيدة» لمنتجب الدين أبي يوسف المنتجب ابن أبي العز بن رشيد الهمداني (- ٦٤٣هـ).

(١) بلغت شروح «الشاطبية» في كتاب: «الإمام الشاطبي سيد القراء» (٥٤) شرحاً، وفي مقدمة تحقيق «العقد النضيد» (٦٢) شرحاً عدا الحواشي والتعليقات عليها.

- ٥- «الآلء الفريدة في شرح القصيدة» لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد ابن يوسف الفاسي نزيل حلب (-٦٥٦هـ).
- ٦- «كنز المعاني في شرح حرز الأمانى» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، المعروف بشُعلة المؤصلي (-٦٥٦هـ).
- ٧- شرح لشمس الدين أبي الفتح محمد بن علي بن موسى الأنصاري الدمشقي (-٦٥٧هـ).
- ٨- «المفيد في شرح القصيد» لعلم الدين قاسم بن أحمد اللورقي (-٦٦١هـ)، وهو سمي كتاب ابن جبارة، وقد يكون اطلع عليه.
- ٩- «إبراز المعاني من حرز الأمانى» لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (-٦٦٥هـ).
- ١٠- شرح لعقاد الدين أبي الحسن علي بن يعقوب بن شجاع بن علي بن إبراهيم المؤصلي (-٦٨٢هـ).
- ١١- «حل رموز الشاطبية» لتقي الدين يعقوب بن بدران الجرائدي (-٦٨٨هـ).
- ١٢- «كاشف المعاني في شرح حرز الأمانى» لأبي الفضائل عباد بن أحمد بن إسماعيل الحسيني (كان حيًا سنة ٧٠٤هـ).
- ١٣- شرح لعلاء الدين علي بن أحمد (-٧٠٦هـ).
- ١٤- شرح لأبي الحسن علي بن يوسف بن حريز بن فضل اللّحمي المعروف بالشطّوني (-٧١٣هـ).
- ١٥- شرح لأبي موسى جعفر بن مكّي المؤصلي (-٧١٣هـ).
- ١٦- «فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى» لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنّهاجي المعروف بابن آجرؤم (-٧٢٣هـ).

١٧- شرح ليوسف بن أبي بكر المعروف بابن خطيب بيت الآبار (٥٧٢٥هـ).
وقد أكثر ابن جُبارة في «المفيد» النقل مما استحسنه من كلام السَّخَاوِي
والفاسي وأبي شامة ممن سبقه في شرح الشاطبية كما صرح بذلك في مقدمته، وكان
دائمًا يشير إلى من ينقل عنه، خلا مرات قليلة نقل عنهم من دون إشارة، و نقل
من كلام شيخه الراشدي قسطًا كبيرًا^(١)، ولم يغفل العزو إليه، ونقل أيضًا عن آخرين
نقلًا يسيرًا.

ب- شروح عاصرت «المفيد» أو جاءت بعده:

- ١- «كنز المعاني» لبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري
(٥٧٣٢هـ).
- ٢- «الحواشي المفيدة في شرح القصيدة» لأبي محمد عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد
الرحمن الدُّقُوقِي (٥٧٣٥هـ).
- ٣- «الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية» لأبي القاسم هبة الله بن عبد
الرحيم البارزي (٥٧٣٨هـ).
- ٤- شرح لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن بَصْحَانَ (٥٧٤٣هـ).
- ٥- شرح لبدر الدين أبي محمد الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم المرادي (-)
(٥٧٤٩هـ).
- ٦- «العقد النضيد في شرح القصيد» لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف
المعروف بالسَّمِينِ الحَلِي (٥٧٥٦هـ).

(١) لم تذكر مصادر ترجمة الراشدي له تأليفًا.

- ٧- «سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي» لعلاء الدين أبي البقاء علي ابن عثمان ابن القاصح العُدري (٥٨٠١هـ).
- ٨- شرح لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ).
- ٩- «إرشاد المرید إلى مقصود القصید» لعلي محمد الصَّبَّاع (١٣٨١هـ).
- ١٠- «الوافي» لعبد الفتاح القاضي (١٤٠٣هـ).

وقد صرح ابن القاصح وهو من شُرَّاح الشاطبية الذين جاؤوا بعد ابن جبارة بنقله عن شرحه، فقال في مقدمته: (وقد اختصرت هذا الكتاب من شرح السَّخاوي والفاسي، وأبي شامة، وابن جبارة، وغيرهم، وزدت فيه فوائد ليست من هؤلاء المشروحات، وسميته: سراج القارئ..)^(١).

وجعله ابن الجزري - كما سلف - أحد الأصول التي استقى منها مادة كتابه «النشر في القراءات العشر»^(٢)، فذكر فيه السند الذي أدى إليه كتاب ابن جبارة.

٢- منزلة «المفيد» في شروح الشاطبية:

• أنواع شروح الشاطبية:

أ- الشروح المطوّلة: التي يُعنى شارحها بكل ما يتعلق بالأبيات من معنى، وإعراب، وخلاف بين العلماء، وتوجيه قراءات، وتصحيح أخطاء الشراح قبله، منها:

- ١- شرح ابن خطيب بيت الآبار المشار إليه، وهو في مجلدين ضخمين.
- ٢- شرح ابن جبارة: «الفتوحات المكية والقدسية»، رعه مخطوط في مجلد ضخيم.

(١) «سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي»/ ص ١٠ .

(٢) «النشر» ٦٣/١ .

- ٣- شرح الجعبري: «كنز المعاني»، طبع أقل من ربعه في مجلد كبير.
- ٤- شرح السمين الحلبي: «العقد النضيد»، طبع ربعه في مجلدين كبيرين.
- ب - الشروح المتوسطة:** التي لم يطنب فيها أصحابها ولم يوجزوا، بل كانت وسطاً بين ذلك، منها:
- ١- شرح أبي شامة: «إبراز المعاني»، طبع في أربعة مجلدات صغيرة.
- ٢- شرح الفاسي: «اللائئ الفريدة»، مخطوط في مجلدين.
- ٣- شرح شُعَلَة: «كنز المعاني»، طبع في مجلد.
- ج - الشروح المختصرة:** وتكتفي بحل رموز الآيات مع بيان المعنى الإجمالي وهذه تعنى بالقارئ ذي المعرفة بالقراء ورواتهم ومصطلحات علم القراءات مثل:
- ١- شرح عبد الفتاح القاضي (-١٤٠٣هـ): «الوافي».
- ٢- شرح الضَّبَاع (-١٣٨١هـ): «إرشاد المرید إلى مقصود القصید».

● **منزلة «المفيد»:**

عند التأمل في كتابنا «المفيد» الذي نحن بصدده نرى أنه من المجموعة الثانية، وهي الشروح المتوسطة، فهو:

١- يقدم لكل باب من أبواب الأصول بمقدمة متوسطة أو مختصرة، يتحدث فيها عن موضوع الباب ومعناه في اللغة والاصطلاح، وإعرابه، أو عن واحد مما تقدم، مثل: مقدمة باب الاستعاذة، والبسملة، وسورة أم القرآن، والإدغام الكبير.

٢- يتكلم في مفردات البيت من حيث الاشتقاق اللغوي، وقد يستشهد على ذلك بالشعر.

- ٣- قد يتعرض لما في كلام الناظم من أمور بلاغية كالاستعارة والتشبيه والمجاز.
- ٤- يُعرب بعض الكلمات في الأبيات مما يدور المعنى حوله مع ذكر وجوه الإعراب أحياناً، وقد يبين مذاهب النحاة في المسائل الخلافية.
- ٥- ينقل عن ثلاثة من أبرز شراح الشاطبية، وهم: السَّخَاوِي (-٦٤٣هـ)، والفاسي (-٦٥٦هـ)، وأبو شامة (-٦٦٥هـ)، ويكثر من تعقب أبي شامة، مما يدل على ذهن وقاد، وقرينة ناقدة.
- ٦- يوجِّه بعض القراءات التي حوتها الشاطبية، ويذكر عللها مستشهداً بأقوال أئمة النحو واللغة.
- ٧- يورد الاستفسارات والشبه والاعتراضات التي قد تعرض للمرء، ثم يجيب عنها بما يزيل لبسها أو يتركها دون إجابة أحياناً.

٣- منهج ابن جبارة في «المفيد»:

- بدأ ابن جبارة كتابه بمقدمة حمد الله فيها، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على الرسول ﷺ وآله وأصحابه والتابعين، ثم تكلم على القرآن الكريم وحفظه، وأن الله قد أظهر ذلك على يد الشاطبي في منظومته، ويسر له بحثها على شيخه حسن الراشدي، ثم وضع شرحه في كتاب، وأضاف إليه ما يسره الله لديه، ثم بيّن المنهج الذي سار عليه في شرح الأبيات، وهو يشمل النقاط الآتية:
- أ- لا يلتزم ذكر البيت دفعة واحدة كما فعل غيره.
- ب- يذكر مسألة ويقف على رمزها.
- ج- لا يعرب من أبياتها إلا القليل، أو ما يتوقف عليه بيان حكم من أحكامها.
- د- مقصوده حلُّ ألفاظها ومشكلاتها بإيجاز واختصار.

ويمكن رد هذه النقاط إلى أمرين: طلب الاختصار وترك التطويل، مع إيضاح المعنى قدر الإمكان. والنقطة الأخيرة التي ذكرها تعلق منهجه؛ فهو يريد اختصار الشرح قدر المستطاع لكي يبلغ القارئ هدفه من فهم المعنى بأسرع ما يمكن دون إخلال ببيان معنى الآيات.

ويمكن إضافة نقاط أخرى غلبت على منهج المصنف هي:

- هـ - الاهتمام ببيان معاني الألفاظ الغريبة في الآيات.
 - و- إعراب بعض المفردات التي لها أدنى وشيخة بالمعنى.
 - ز- الاستشهاد لبعض الجزئيات بما يقويها من مقاطع الشاطبية نفسها أو الآيات الكريمة أو الآثار أو غير ذلك.
 - ح- تفسير الشاطبية بالشاطبية.
 - ط- توجيه القراءات.
 - ي- الاعتماد في الشرح على ثلاثة من أحسن شروح الشاطبية هي: «إبراز» أبي شامة، و «لآلئ» الفاسي، و «فتح» السخاوي. ونقل كلام شيخه حسن الراشدي، علاوة على التعقيب عليها إذا كان ذلك مناسباً.
- ويؤخذ على منهج المصنف:
- أ- النقل عن بعض المصادر دون إشارة إليها، أو بشيء من التصريح بالنقل بعد ذلك، مما يوهم أن الكلام المتقدم هو لابن جُبارة.
 - ب- ترك الإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحها في شرحه.
 - ج- الإطالة في بعض النقول.

٤ - مصادر «المفيد»:

يمكن تقسيم مصادر المفيد إلى ضربين فيما يأتي:

أ- مصادر رئيسة: وهي الكتب التي أكثر المصنف النقل عنها في كتابه، وهي:

١- «حِرْز الأمانى ووجه التهاني»: وهي المنظومة التي يشرحها ابن جبارة، فلم يكدها يخلو شرح لبيت منها من استشهاد بمقاطع أخرى من المنظومة نفسها.

٢- «إبراز المعاني من حِرْز الأمانى» لأبي شامة المقدسي: وهو شرح على الشاطبية سار فيه أبو شامة على منوال شيخه أبي الحسن السَّخَاوي في شرحه للقصيدة، وزاد عليه معاني لم يودعها كتابه، فشرع في تصنيفه بتوسع واستقصاء في كتاب كبير حتى بلغ باب المهمتين من كلمتين، ثم عاد فاختصره وأكمله خوفًا من دنوّ الأجل وقصور المهمة، وسمى هذا المختصر: «إبراز المعاني من حِرْز الأمانى»، وقد نقل ابن جبارة عن أبي شامة في (٥١) موضعًا في التسع الأول من الكتاب وهو (٢٨) ورقة الأولى من المخطوط، كنى فيها عن اسم أبي شامة بلفظ «بعضهم».

٣- «اللائى الفريدة في شرح القصيدة» لأبي عبد الله الفاسي نزيل حلب: وهو شرح على الشاطبية أيضًا وصفه الذهبي بأنه في غاية الحسن، وقد اعتمد ابن جبارة هذا الشرح أيضًا اعتمادًا كبيرًا فنقل عنه في التسع المذكور في (١١) موضعًا.

٤- أقوال شيخه حسن الراشدي الذي صرح في مقدمته أنه أخذها عنه، وبحثها عليه بحثًا شافيًا مستقصيًا ألفاظها غاية الاستقصاء، وقال: (وأبرز إليّ ما استتر من معانيها ومشكلاتها مما خفي واستتر عن المتقدمين من شراحها والمتصدّين لحل ألفاظها، فأحببت أن أضعه في كتاب، .. وأضفت إليه ما يسره الله لديّ وفتحته عليّ)، وقد نقل ابن جبارة عن شيخه في التسع المذكور في (١٣) موضعًا.

ب - مصادر فرعية: وهي الكتب التي نقل عنها المصنف في مواضع معدودة وهي:

• كتب القراءات:

- ١- «فتح الوصيد في شرح القصيد» لأبي الحسن السَّخاوي، وقد نقل عنه ابن جُبارة عند شرح الأبيات: (٥٨، ٧٥، ٨٩، ١٠٢، ١٣١).
- ٢- «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني: وهذا الكتاب هو أصل القصيدة الشاطبية، نقل عنه عند شرح الأبيات: (١٠١، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٩).
- ٣- «جامع البيان» للداني: نقل عنه عند شرح البيت (١٢٧).
- ٤- «الإيضاح» لأبي علي الأهوازي: نقل عنه عند شرح البيتين: (٣٩، ١٠٥).
- ٥- «التبصرة في القراءات السبع» لمكِّي بن أبي طالب: نقل عنه عند شرح الأبيات: (٢٥، ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨).
- ٦- «الإبانة عن معاني القراءات» لمكِّي بن أبي طالب: نقل عنه عند شرح البيت: (٢١).
- ٧- «كنز المعاني» للجَعْفَرِي، نقل عنه عند شرح البيت: (٩٥) بقوله: قال بعض المتأخرين.
- ٨- «العنوان في القراءات السبع» لابن خَلْف، نقل عنه في المقدمة، وعند شرح البيت: (٥٥).
- ٩- «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها» لمكِّي، نقل عنه عند شرح البيت: (٩٥).
- ١٠- «التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه» لمكِّي، نقل عنه عند شرح البيت: (١١١).

• كتب التفسير:

- ١١- تفسير ابن جُزَيِّ: نقل عنه عند شرح البيت: (٩٥).
 ١٢- «الإبانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم» للزجاج: نقل عنه عند شرح البيت: (١).

• كتب الحديث:

- ١٣- سنن الترمذي: نقل عنه عند شرح البيت: (٥).
 ١٤- «سنن أبي داود» نقل عنه عند شرح البيت: (٤).
 ١٥- «صحيح البخاري»: نقل عنه عند شرح البيت: (٧).
 ١٦- «صحيح ابن خزيمة» نقل عنه عند شرح البيت: (٩٧).
 ١٧- «صحيح مسلم» نقل عنه عند شرح البيت: (٧، ١٨).
 ١٨- «معالم السنن» للخطّابي نقل عنه عند شرح البيت: (٤، ٩٣).
 ١٩- مسند بقيّ بن مخلّد: نقل عنه عند شرح البيت: (١٧).
 ٢٠- مسند البزار: نقل عنه عند شرح البيت: (٨٣).

• كتب التراجم:

- ٢١- «التاريخ الكبير» للبخاري: نقل عنه عند شرح البيت: (٣٢).

٥- تاريخ تأليف «المفيد»:

أما تاريخ تأليف الكتاب فالمرجح أنه بين سنة ٦٧٣هـ - وهي سنة رحلته إلى مصر على أحد قولين - وسنة ٦٨٥هـ، فالظاهر من مقدمته أنه وضع كتابه قبل وفاة شيخه الراشدي سنة ٦٨٥هـ، وقد بقي في القاهرة بعد هذه السنة، وقرئ عليه الكتاب سنة ٦٨٧هـ كما يبدو مما كتبه بخطه في نهاية الجزء الأول من نسخة

المكتبة البلدية.

٦ - توثيق الكتاب ونسبته إلى المصنف:

سبق القول: إن لابن جُبارة شرحين للشاطبية:

الأول: هو «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»، وهو الذي ائْتَقَدَ بسببه، وهذا الشرح الكبير أُلْفَ بعد الشرح الصغير.

والثاني: هو كتابنا «المفيد في شرح القصيد»، والكتاب - كما سلف - سميّ كتاب سبقه لعلم الدين اللُّورقي المتوفى سنة ٦٦١هـ، ولم يذكر كتاب ابن جُبارة في مصادر ترجمة المؤلف بهذا الاسم، إلا عند القسطلاني الذي ذكره صراحة فقال^(١): (وله شرح مختصر على الشاطبية سماه: «المفيد في شرح القصيد») وأشار ابن شطّبيّ في «مختصر طبقات الحنابلة» إليه بقوله: (شرحًا يسيرًا)، ونعته بالمختصر وباليسير يصرف النظر عن كتابه الآخر الذي وصفته المصادر بالكبير المطول^(٢)، وهو الذي حدد ابن الوردي وقوعه في أربعة مجلدات كما سلف، وقد ذكره - دون تحديد الاسم - ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٤٢/١٤، وابن مفلح في «المقصد الأرشد» ١٧٧/١، والفاسي في «ذيل التقييد» ٣٨٩/١، والسيوطي في «بُعية الوعاة» ٣٦٤/١، وابن القاضي في «درة الحِجَال» ١٥١/١، والبغدادي في «هدية العارفين» ١٠٧/١، والزركلي في «الأعلام» ٢١٤/١.

(١) «الفتح المواهي» ص ٩٢.

(٢) لعل هذا الوصف هو الذي حدا بالأستاذ الفاضل الدكتور أيمن رشدي سويد حفظه الله أن يعدّ «المفيد» في الشروح المطولة (مقدمة تحقيق «العقد النضيد» للسّمين الحلبي

والذي يجزم أيضاً بعنوان الكتاب ويوثق نسبه إلى مؤلفه نسختنا الكتاب الخطيتان الأولى: نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية، وهي النسخة الأم، قرئت على المصنف، وأثبت المصنف ذلك بخطه في نهاية الجزء الأول من الكتاب، وسيأتي وصفها عما قريب، والأخرى: نسخة مكتبة كوبرلي، ومقدمة المؤلف وشفحة الغلاف في النسختين توضحان ذلك إضافة إلى مقدمة شرح الشاطبية الآخر لابن جبارة الذي تقدم ذكره.

٧- وصف نسخ الكتاب:

أمكنني الحصول - بفضل الله تعالى - على نسختين خطيتين من كتاب «المفيد» لم أجد لهما بعد البحث والتنقيب فيما وقفت عليه ثالثة، وهما:

١- نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية:

تجمع فيها تحت رقم (١٥٢٩-ب)، وتقع في مجلد من جزئين، الجزء الأول يضم الأصول وينتهي بنهاية الورقة (٩٧/ب)، والثاني يضم الفرش وينتهي في منتصف الوجه (ب) من الورقة (٢٠٦)، تقع النسخة في (٢٠٦) ورقات من الحجم الكبير قياس (٢٦×٣٦ سم)، في الوجه الواحد منها (٣٥) سطرًا، وفي كل سطر (٢٠) كلمة تقريبًا، كُتبت بخط نسخ معتاد صغير، ليس فيها شفحة عنوان، وهي صعبة القراءة، رديئة التصوير، نادرة الضبط، لها مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

جاءت في الشفحة التي تسبق بداية الكتاب العبارة الآتية:

(طالع في هذا الكتاب العاجز الفقير إلى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي عفو ربه محمد بن أحمد المقرئ الشهير بالأنصاري، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه ولمن نظر إليه ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما أحاط

علمه، وجرى به قلمه، وكتب في ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة سبع وسبع مئة).

وتخللت عبارات المقابلة طرر أوراق الكتاب مثل:

1- بلغ قراءة وتصحيحًا على المصنف (في الورقة ٩/٢ - ١٤/١).

2- بلغ قراءة تصحيح (في الورقة ٢٤/٢).

3- قرئ جميعه على المؤلف (في الورقة ٢٠٦/٢ وهي الورقة الأخيرة من

الكتاب).

وفي نهاية الجزء الأول في الورقة (٩٧/ب) كتب المؤلف العبارة الآتية بخطه:

(قرأ عليّ الأخ الصالح المقرئ المجود المتقن فخر الدين عثمان بن إسحاق

ابن إبراهيم بن غياث الدمشقي هذا الجزء الأول من شرح القصيدة المسماة بحرز

الأماني ووجه التهاني من أوله إلى آخره، وقد أذنتُ له في روايته عني على الوجه

المعتبر، وقرأ عليّ القصيدة المتقدم ذكرها من أولها إلى آخرها حفظاً من صدره،

وشرحتها له شرحاً كافياً بما يسره الله لدي، وقد أذنت له في إقراءها لمن أراد؛ لما

تحققته من فهمه ودينه وأمانته، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله

وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وكتب المؤلف للشرح: أحمد بن محمد بن جبارة

المقدسي، ثم المزدوي، ثم الحنبلي بالقاهرة المحروسة بخانقاه سعيد السعد يوم

الأربعاء التاسع من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وست مئة).

وهذه النسخة نفيسة قيمة؛ فهي:

- مقروءة كلها على المؤلف ومصححة عليه.

- مزينة بإذن المؤلف بالرواية عنه على الوجه المعتبر لتلميذه عثمان بن إسحاق

الدمشقي سنة ٦٨٧هـ، أن يروي القسم الأول من الكتاب الذي يضم قسم

- الفرش، وتأتي هذه الإجازة الفريدة جامعة لأنواع عدة من طرق الأخذ المعروفة عند العلماء كالسماع والقراءة والإذن بعد أن:
- 1- سمع المؤلفُ الشاطبية كاملة من تلميذه غيبًا عن ظهر قلب.
 - 2- أسمع المؤلفُ التلميذَ شرحًا كاملاً للشاطبية.
 - 3- قرأ التلميذُ على المؤلف شرحه للشاطبية من النسخة المصححة عليه.
 - 4- تحقّق المؤلف من فهم تلميذه للشاطبية ووثق بدينه وأمانته.
 - 5- أذن المؤلفُ للتلميذ برواية الجزء الأول من الشرح عنه ويقراء الشاطبية لمن أراد.

ويذكر أن هذه الإجازة تدل على صفات عالية لابن جبارة هي: تواضعه، وصبره، وإخلاصه في حمل العلم الغزير إلى تلميذ واحد من تلامذته حتى فرغ من شرح الشاطبية كلها له على ضخامتها، وهي تدل أيضًا على أنه أملى شرحه على تلامذته مرات عدة، مما يفسر الزيادات الكبيرة التي زادت النسخة (ك) على النسخة (ب)، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ب»، وهي النسخة الأم.

ب- نسخة مكتبة كوبريلّي زاده باستبول:

وهي فيها بالأرقام (٥ - ٦ - ٧ - ٨)، وهي في (٦٩٠) ورقة قياس (٢٠×١٤)، في الصفحة الواحدة نحو (٢٠) سطرًا، في السطر نحو (١٠) كلمات، كُسرّت على أربعة أجزاء:

- الأول في (١٦٠) ورقة، ينتهي بباب وقف حمزة وهشام.
- الثاني في (١٧٩) ورقة، ينتهي بباب سورة البقرة.
- الثالث في (١٧٩) ورقة، ينتهي بباب سورة الشورى.
- الرابع في (١٧٢) ورقة، ينتهي بنهاية الكتاب.

ناسخها علي بن آدم بن شعيب بن مجاهد الكناي نسبة الشافعي مذهباً،
 نسخها بين سنة ٧٨١هـ و ٧٨٢هـ، أي بعد وفاة المؤلف بنيف وخمسين عاماً،
 خطها نسخ معتاد واضح.

وُضِعَ خَتْمًا تَمَلُّكٍ عَلَى جَمِيعِ الْأَجْزَاءِ هَذَا نَصَهُمَا:

- (وقف هذه النسخة الوزير أبو الخير أحمد بن الوزير الأعظم الفاضل نعمان
 بن الوزير الأعظم العلامة الصدر الشهيد مصطفى بن الوزير الأعظم النَّحْرِيرِ أَبِي
 عبد الله محمد كوبريلي أقال الله عثاره).

- (هذا مما وقفه الوزير أبو الخير الحاج أحمد بن الوزير الأعظم نعمان).

وهي نسخة كاملة، نادرة الضبط، كثر فيها التصحيف والتحريف
 والزيادات، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ك)، وهي نسخة مساعدة .

٨ - صور النماذج الخطية:

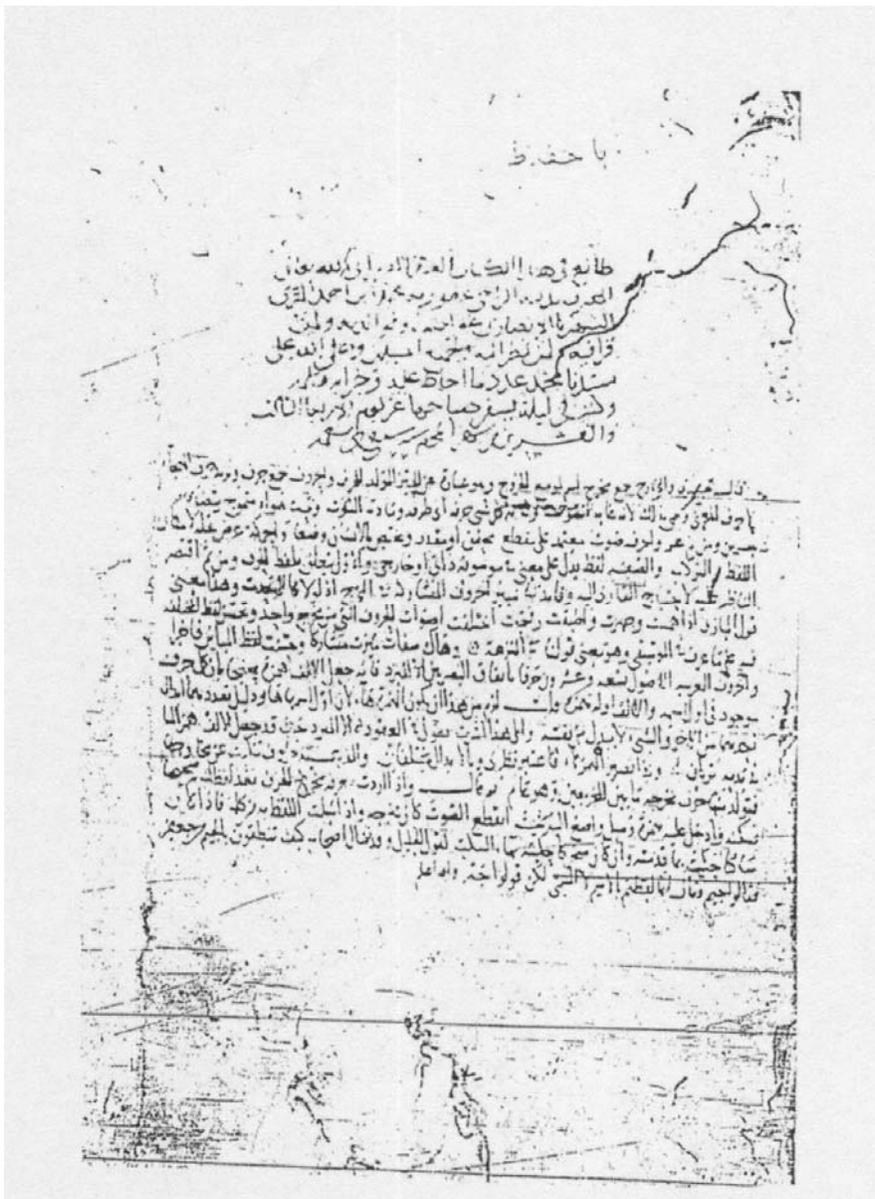


النسخة (ب) - صورة صفحة نهاية الجزء الأول

ويظهر في نهايتها خط المؤلف

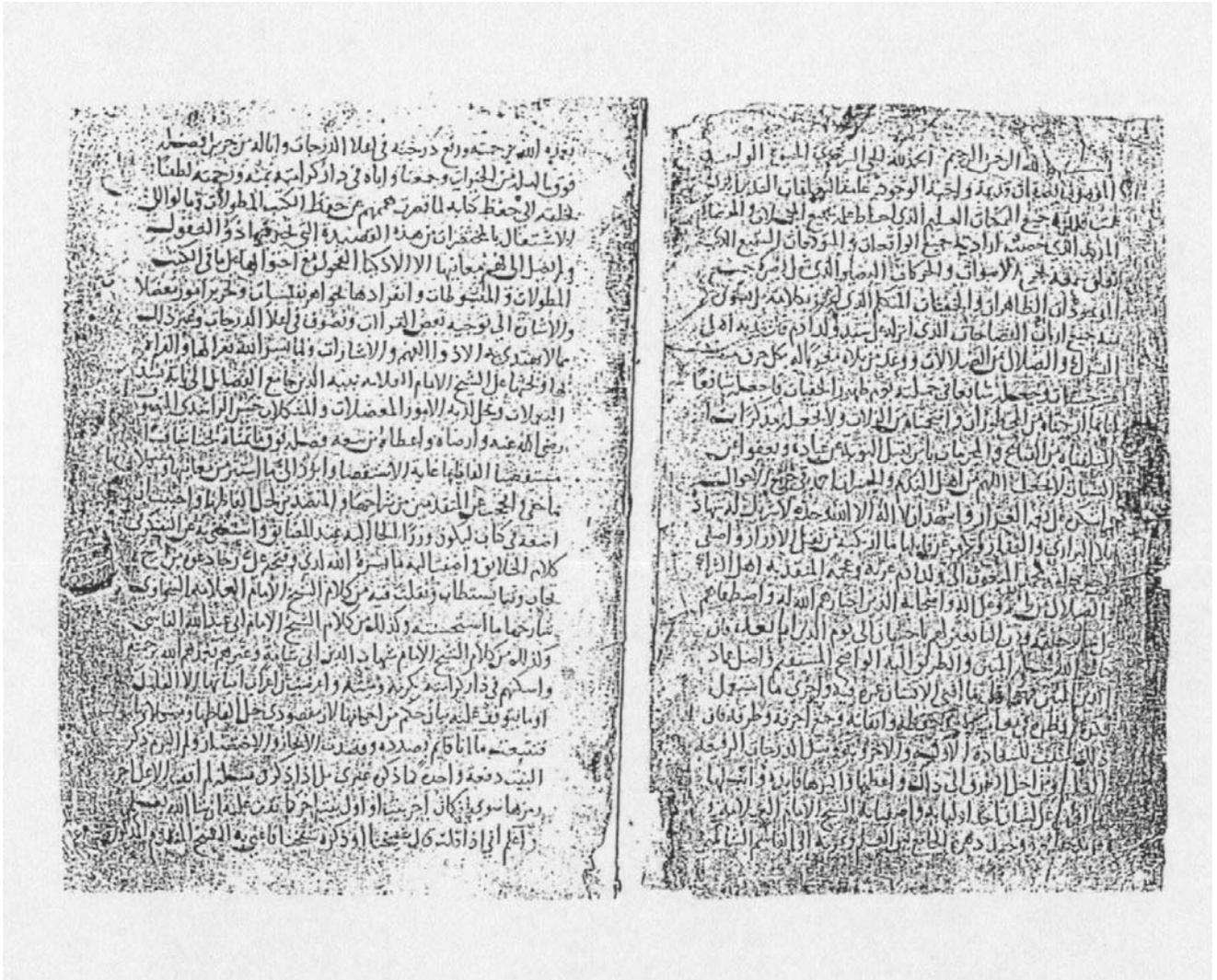


النسخة (ب) - صورة صفحة بداية الكتاب

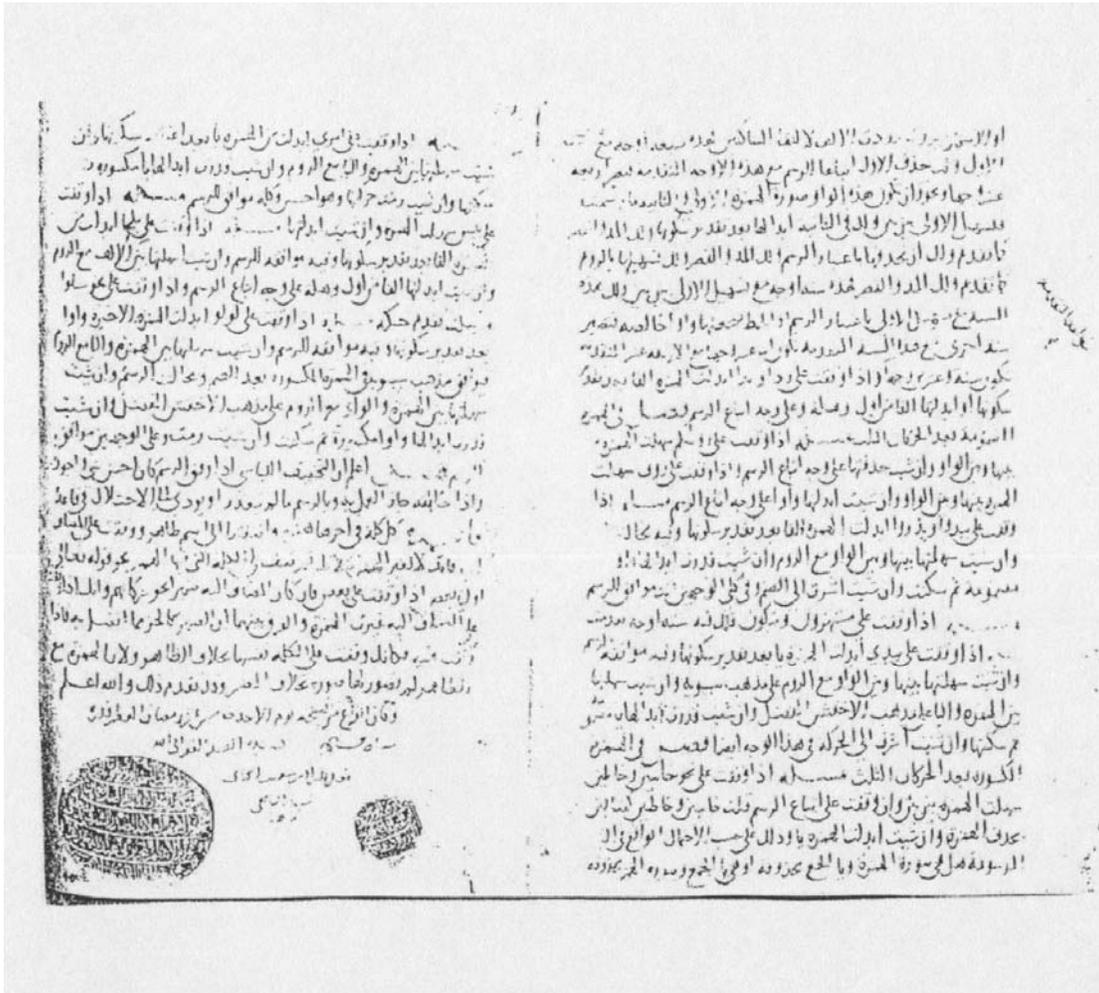


النسخة (ب) - صورة صفحة ما قبل بداية الكتاب

النسخة (ك) - صورة صفحة العنوان



النسخة (ك) - صورة الورقة الأولى من الجزء الأول



النسخة (ك) - صورة الورقة الأخيرة من الجزء الأول

المصادر والمراجع

- ١- الإعلام بوفيات الأعلام / الذهبي؛ حققه وعلق عليه: رياض عبد الحميد مراد، عبد الجبار زكار - بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١.
- ٢- الإمام الشاطبي: سيد القراء/ إبراهيم الجرمي - دمشق: دار القلم، ٢٠٠٠- (أعلام المسلمين؛ ٧٤).
- ٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ الذهبي؛ تحقيق: عمر عبد السلام التدمري وآخرين - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ - ٤١ معج.
- ٤- التفسير والمفسرون/ د. محمد حسين الذهبي - ط ٤ - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٩-٣ ج.
- ٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/ ابن فرحون المالكي؛ تحقيق وتعليق: محمد الأحمد أبو النور - القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٧٢ - ٢ ج.
- ٦- سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي/ ابن القاصح؛ تحقيق: أحمد القادري - ط ١- دمشق: دار سعد الدين، ١٩٩٤.
- ٧- شرح عقيلة أتراب القصائد/ ابن جبارة المقدسي (مخطوط الظاهرية).
- ٨- طبقات الشافعية/ ابن قاضي شهبه؛ تصحيح وتعليق: عبد العليم خان - بيروت: مؤسسة دار الندوة الجديدة، ١٩٨٧ - ٢ ج.
- ٩- طبقات الشافعية الكبرى / السبكي؛ تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي - ط ٢ - القاهرة: هجر، ١٩٩٢ - ١١ ج.
- ١٠- العقد النضيد في شرح القصيد/ السمين الحلبي؛ تحقيق: د. أيمن رشدي سويد - جدة: دار نور المكتبات، ٢٠٠٢ - ٢ ج.
- ١١- الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية/ ابن جبارة المقدسي (مخطوط مجمع اللغة العربية بدمشق).

- ١٢ - القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية/ ابن طولون؛ تحقيق: محمد أحمد دهمان - ط ٢ - دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠ - ٢ ج.
- ١٣ - متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع/ القاسم بن فيزة؛ ضبطه وصححه وراجعته: محمد تميم الزعبي - ط ٢ - المدينة المنورة: دار المطبوعات الحديثة، ١٩٩٠.
- ١٤ - المخطوطات العربية بالأسكوريال - إسبانيا/ هارتويغ ديرنبورغ، ليفي بروفنسال - باريس: المدرسة الوطنية للغات الشرقية، ١٩٢٨ - ٣ ج - (فهارس المكتبات الخطية النادرة١).
- ١٥ - معجم البلدان/ ياقوت الحموي - بيروت: دار صادر، ١٩٥٧ - ٥ ج.
- ١٦ - المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط/ د. عدنان الخطيب - دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٦٥.
- ١٧ - معجم المؤرخين الدمشقيين وأثارهم المخطوطة والمطبوعة/ د. صلاح الدين المنجد - ط ١ - بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨.
- ١٨ - الوفيات/ ابن رافع؛ تحقيق وتعليق: صالح مهدي عباس - ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢، ٢ مج.
- ١٩ - قرص مرن (CD) متن الشاطبية تطبيقاً بالصوت/ مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي - ١٩٩٩ - (سلسلة علوم القرآن، المدخل إلى علم القراءات).